الباب الأول

السماحة في الإسلام

الفصل الأول

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مصادر السماحة .

المبحث الثاني : مظاهر السماحة .

المبحث الثالث : ضوابط السماحة.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

مصادر السماحة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف السماحة.

المطلب الثاني : مصادر السماحة من القران.

المطلب الثالث : مصادر السماحة من السُّنة.

obeikandl.com

المطلب الأول

تعريف السماحة

السماحة لغة: من سمح سمحاً وسماحاً وسماحة، لان وسهل . والسماحة: الانقياد بعد استصعاب وشدة ،ومنه قولهم : سمحت نفسه ؛أي أطاعت وانقادت .

والسماحة : المساهلة . والسماحة: التيسير ، والسماحة : الجود والكرم ، ومنه سمح فلان أي بذل العسر واليسر عن كرم وسخا ، ومن السماحة البيع بأقل من الثمن المناسب [١] .

والسماحة في الاصطلاح: هي بذل ما لا يجب تفضُّلاً [٢] .

وقيل : هي احتمال المرء لكل اعتداء يقع على حقوقه ، بالرغم من قدرته على دفعه. وهي ما يتصف به الإنسان من ظرف ، وأنس ، وأدب ، يجعله قادراً على معايشة الناس ، رغم اختلاف أرائهم عن آرائه [٣] .

---

(١) لسان العرب (٧ / ٢٤٩) دار صادر ، والمعجم الوسيط (٢ / ٤٤٧) المكتبة الإسلامية .

(٢) التعريفات : الجرجاني ص ١٠٣ .

(٣) المعجم الفلسفي(١ / ٢٧١) لجميل صليبا ، نقل عن الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب لسعود بن عبد الله الخزمي (٢ / ٩٢١) .

obeikandl.com

المطلب الثاني

مصادر سماحة الإسلام مع غير المسلمين من القرآن الكريم

لم يرد ذكر السماحة في القرآن الكريم لفظاً مباشراً ، ولكن جاء الذكر ضمناً في آيات كثيرة يصعب حصرها ومنها :

[١] قال الله تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة : ٨] أي لا ينهاكم الله عن البر والصلة والمكافآت بالمعروف والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم (١) .

[٢] قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

وفي هذه الآية الكريمة تظهر لنا سماحة الإسلام عند مجادلة غير المسلمين من أهل الكتاب ، قال مجاهد (٢) في تفسير هذه الآية : هي محكمة فيجوز مجادلة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / ٥٩٤ ، تأليف العلامة الشيخ ابي عبد الله عبدالرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم ، ولد في بلدة عنيزة في القصيم ، وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام الف وثلاثمائة من الهجرة النبوية ، وتوفي في عام ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم . من مصنفاته تفسير القرآن الكريم المسمى : تيسير الكريم الرحمن ، وإرشاد اولى البصائر والألباب لمعرفة الفقه باقرب وأيسر الأسباب ، والدرة المختصرة في محاسن الإسلام ، والخطب العصرية القيمة ، والقواعد الحسان في تفسير القرآن ، ومصنفات اخرى ، انظر : مقدمة تفسيره بقلم احد تلامذته ص٥ .

(٢) مجاهد هو : الإمام شيخ القراء والمفسرين ، ابو الحجاج المكي الأسود ، مولى السائب بن ابي السائب المخزومي ، ويقال مولى عبد الله بن السائب القارئ ، روي عن ابن عباس فاكثر واطاب ، وعنه اخذ القرآن والتفسير والفقه ، وعن ابي هريرة وعائشة وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وعدة ، تلا عليه جماعة منهم ابن كثير الداري ، وحدث عنه عكرمة وطاووس وعطاء ، وهم من أقرانه ، وابن عون وابو حصين ، وخلق كثير ، وقال يحيى بن معين وطائفة : مجاهد « ثقة » مات وهو ساجد سنة مائة واثنين من الهجرة ، وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء (١ / ١٥٨) برقم ٥٥٣ .

أهل الكتاب بالتي هي أحسن ، بمعنى الدعاء لهم إلى الله ـ عز وجل ـ والتنبيه على حججه وآياته رجاء إجابتهم إلى الإيمان ، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة [١] ، فمن حسن المسلم عند مجادلة أهل الكتاب أن يكون ليناً متلطفاً في حديثه معهم ، لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال السعدي : ألا يكون القصد منها ـ أي المجادلة ـ مجرد المغالبة وحب العلو [٢] .

[٣] قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الجاثية : ١٤] . ومعنى ﴿ يَغْفِرُوا ﴾ يعفوا ويتجاوزوا [٣] . وفي هذه الآية دعوة للمؤمنين للسماحة والصفح عن أذى الكفار .

[٤] قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ .

[البقرة : ٢٥٦] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ [٤] في تفسير هذه الآية : لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بيّن واضح جلي الدلالة ، وبرهانه لا يحتاج إلى أن يُكره أحدٌ على الدخول فيه [٥] ، فالإكراه تنفر منه النفوس وتشمئز منه القلوب ، وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس : ٩٩] .

---

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٨١ ـ ٢٨٢) .

(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٨٢ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي (١٦ / ١٢٨) .

(٤) هو الشيخ الإمام العالم الحافظ المفيد ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع القيسي البصري الدمشقي ، ولد سنة ٧٠١ هـ ، ألف كتباً شتى في علوم القرآن والحديث والتوحيد والفقه والسيرة والتراجم والتاريخ، من مؤلفاته : تفسير القران العظيم وفضائل القرآن وتاريخ جمعه وكتابته ولغاته والإحكام الكبرى في الحديث ، والإحكام والصغرى في الحديث شرح صحيح البخاري أحاديث التوحيد ، والرد على الشرك ، مختصر علوم الحديث ، والباعث الحثيث على معرفة علوم الحديث، والفصول في اختصار سيرة الرسول ، والبداية والنهاية ، توفي سنة ٧٧٤هـ ينظر (١ / ٢ ـ ٣) من تفسيره العظيم ، قدم له الدكتور / يوسف عبد الرحمن .

(٥) تفسير ابن كثير (١ / ٢١٨) .

[٥] قال تعالى : ﴿ ولا تَسُبُّوا الَّذين يَدْعُونَ من دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ علْمٍ﴾ [الأنعام : ١٠٨] وفي هذه الآية دليل للقاعدة الشرعية (سدُّ الذرائع) ومعنى الذرائع : جمع ذريعة ، والذريعة : الوسيلة إلى الشيء (١) .

فالوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها ، وأن الوسائل المحرمة ولو كانت ـ أي الغاية ـ جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر (٢) . فمتى كان الكافر في مَنَعة وخيف أن يَسُبَّ الإسلام أو النبي ﷺ أو الله ـ عز وجل ـ فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك ، لأنه بمنزلة البعث على المعصية (٣) .

(١) انظر : موسوعة القواعد الفقهية للدكتور محمد صدقي بن أحمد البورنو (٦ / ٣٠) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ص٢٣١
(٣) تفسير القرطبي (٧ / ٥٠) .

obeikandi.com

المطلب الثاني

مصادر سماحة الإسلام مع غير المسلمين من السُنّة

جاء ذكر السماحة لفظاً في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: ذُكرت في البيوع . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **«رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى »** (١) .

الموضع الثاني: ذكرت لفظاً بمعنى الوسطية في الشريعة الإسلامية. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **« بُعثت بالحنيفية السمحة »** (٢) أي بالملة ، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل .

الموضع الثالث : ذُكرت في جوابه ﷺ لما سئل عن الإيمان قال : **«الصبر والسماحة »** (٣) .

أما السماحة بالمعنى فقد وردت في أحاديث كثيرة يصعب حصرها . كما ثبتت أيضاً عنه في السُنَّة الفعلية ، ولذلك نكتفي بذكر نماذج من السُنَّة القولية ومن السُنَّة الفعلية في دروس السماحة مع غير المسلمين .

أولاً نماذج السُنّة القولية :

[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : يا رسول الله أدع الله على المشركين قال : **« إني لم أُبعث لعاناً ولكن بعثت رحمة »** وفي رواية **« إنما أنا رحمة مهداة »** (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (٤ / ٣٧٥ / الفتح) برقم ٢٠٧٦ كتاب / البيوع ، باب / السهولة والسماحة في الشراء ..... والترمذي (٤ / ٤٥٤ / تحفة الأحوذي) برقم ١٣١٩ كتاب /البيوع . و البيهقي في السُنن الكبرى (٥/ ٥٨٥) كتاب /البيوع ، باب / السهولة والسماحة في الشراء . . . برقم ١٠٩٧٨ .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في (تاريخه) (٧ / ٢٠٩) من حديث جابر رضي الله عنه . زاد المعاد (٣ / ٨) .

(٣) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢ / ٩٣) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨ / ٣٩٤ / النووي) برقم ٢٥٩٩ كتاب / البر والصلة ،باب / النهي عن لعن الدواب وغيرها ، والبخاري في« صحيح الأدب المفرد » ص١٣٢ برقم ٢٤٤ / ٣٢١ باب / لعن الكافر ـ تحقيق الألباني

[٢] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من لا يرحم لا يُرحم » وفي رواية « من لا يرحم الناس ، لا يرحمه الله ـ عز وجل ـ » (١) .

[٣] قال عليه الصلاة والسلام : « في كل كبد رطبة أجر » (٢) ، ومعناه الإحسان إلى كل ذي كبد رطبة أي حية . لم يأمر الشرع بقتله (٣) .

ثانياً: نماذج من السُنّة الفعلية :

النموذج الأول : من العهد المكي :

هذا النموذج عبارة عن جواب من النبي ﷺ لسؤال طرح من عائشة زوجه ﷺ (٤) .

السؤال . هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ .

و قبل ذكر جواب النبي ﷺ نعرض ما حدث في يوم أُحد ؛ ففيه قتل من الصحابة أكثر من سبعين شهيد (٥) ، منهم مصعب بن عمير (٦) وحمزة بن عبد المطلب (٧)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠ / ٥٣١ / الفتح) برقم ٦٠١٣ وفي الأدب المفرد ص ١٤٨ ، تحقيق الألباني ومسلم (٨ / ٣٩٤ / النووي) برقم ٢٣١٨ و ٢٣١٩ ، كتاب / الفضائل باب / رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه . وأبو داود (٨ / ٤٦١ / عون المعبود) برقم ٥٢٠٩، كتاب / الأدب، باب / في قبلة الرجل ولده ، والترمذي (٦ / ١٨ / تحفة) برقم ١٩١١ .

(٢) أخرجه البخاري (١٠ / ٥٢٨ / الفتح) برقم ٦٠٠٩ ، وفي الأدب المفرد ص ١٥٠ ، برقم ٣٧٨ ومسلم ، (٧ / ٥٠٢ / النووي) برقم ٢٢٤٤ .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٧ / ٥٠٣) .

(٤) وهي بنت الإمام الصديق الأكبر،خليفة رسول الله ﷺ ، ابي بكر عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر القرشية المكية النبوية . أم المؤمنين زوج النبي ﷺ افقه نساء الأمة . دخل بها في شوال سنة اثنتين ، منصرفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من غزوة بدر وهي ابنة تسع . فروت عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه . وهي ممن ولد في الإسلام . فلم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها ، توفيت سنة سبع وخمسين ، ودفنت بالبقيع . انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء (١ / ٥٤) تحت رقم ١١٩ .

(٥) انظر : صحيح البخاري (٧ / ٤٦٢ / الفتح) برقم ٤٠٧٨ ، كتاب /المغازي ، باب / من قتل يوم أحد .

(٦) وهو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي . قال البراء بن عازب : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير فقلنا ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقال : هو مكانه ،واصحابه على اثره . قتل يوم أحد ولم يترك إلا غرة كانوا إذا غطوا رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطوا رجليه بدا رأسه . فقال ـ عليه الصلاة وسلام ـ غطوا رأسه واجعلوا على رجليه من الأذخر . غزوة أحد كانت في شوال السنة الثالثة من الهجرة . انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء (١ / ١٨) برقم ٨ والبداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٣٥٣) .

(٧) حمزة بن عبدالمطلب هشام بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الهاشمي عم رسول الله ﷺ واخوه من الرضاعة . قال ابن إسحاق . لما أسلم حمزة علمت قريش ان رسول الله ﷺ قد امتنع ، وان حمزة سيمنعه ، =

عم رسول الله ﷺ . وشُج رأسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وكُسرت رباعيته [١] .

أما جوابه ﷺ لعائشة رضي الله عنها فقد كان كالتالي:ـ

«قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلاب فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[٢] ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال :يا محمد ، فقال ذلك فيما شئت ،إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٣] ،فقال النبي ـ ﷺ ـ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ،لا يشرك به شيئاً »[٤] .

النموذج الثاني من العهد ما بين المكي والمدني .

هاجر ـ عليه الصلاة والسلام ـ من مكة إلى المدينة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك يوم الاثنين [٥] .

وفي طريقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو وأبو بكر رضي الله عنه وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي ، مروا بخيمة أم معبد الخزاعية وكانت أم معبد امرأة تطعم وتسقي .فسألوها هل عندك لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا

فكفوا عن بعض ما كانوا ينالونه ،منه وعن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جدع ومُثّل به فقال : (**لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون الطير**) . وكفن في غرة إذا قمر رأسه بدت رجلاه وإذا قمرت رجلاه بدا رأسه . ولم يصل على أحد من الشهداء وقال : (**أنا شهيد عليكم**) **انظر**: تهذيب سير أعلام النبلاء (١ / ٢١) ، برقم ١٧ والبداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٣٨٨) .

(١) **انظر** : صحيح البخاري (٧ / ٤١٨ / الفتح) برقم ٤٠٧٠ كتاب / المغازي ، باب / ليس لك من الأمر شيء

(٢) (**قرن الثعالب**) **هو ميقات أهل نجد ، ويقال له قرن المنازل أيضا وهو على يوم وليلة من مكة ، وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير** . فتح الباري (٦ / ٣٦٤) .

(٣) هما جبلا مكة ؛ أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قعيقعان . فتح الباري ، مرجع سابق .

(٤) **انظر** : صحيح البخاري (٦ / ٣٨١ / الفتح) برقم ٣٢٣١ وبرقم ٧٣٨٩ كتاب بدء الخلق .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧ / ٢٨٢ / الفتح) برقم ٣٩٠٣ ، مناقب الأنصار ، والبداية والنهاية (٣ / ١٧٥) باب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

عندها شيئاً من ذلك . وقالت لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، وإذ القوم مرملون مسنتون ، فنظر رسول الله ﷺ فإذا شاة في كسر خيمتها فقال : (**ما هذه الشاة يا أم معبد ؟**) فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : (**فهل بها من لبن؟**) قالت هي أجهد من ذلك . قال : **تأذنين لي أن أحلبها ؟** قالت : إن كان بها حلب فاحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة ، فمسحها وذكر اسم الله ، ومسح ضرعها وذكر اسم الله ، ودعا بإناء لها يربض الرهط فتفاجأن واجترت فحلب فيه ثجا حتى ملأه وأرسله إليها فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل ، حتى إذا رووا شرب ـ عليه الصلاة والسلام ـ آخرهم وقال : « **ساقي القوم آخرهم** » (١) .

يستفاد من هذه القصة أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه كان بإمكانهم أن يستفزوا هذه المرأة الوحيدة الضعيفة ويأخذوا ما بحوزتها كونها غير مسلمة ، بل قد بدأها ـ عليه الصلاة والسلام ـ بسقي قبل أصحابه،وهذا من سماحة الدين الإسلامي مع غير المسلمين، بل استأجر ﷺ رجلاً من كفار قريش في هجرته مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال (٢) .

النموذج الثالث من العهد المدني :

وهذا النموذج يبين سماحته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعفوه مع المقدرة ، فيوسف عليه السلام عفا عن إخوته وهم بنو أبيه عندما ألقوه في البئر، قال الله تعالى عنهم في محكم التنزيل : ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴿١٥﴾ ﴾ [يوسف : ١٥] ثم أخبر بعد ذلك ـ سبحانه وتعالى ـ عن عفو يوسف عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴿٩١﴾ **قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف : ٩١-٩٢] .

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢ / ٤٩٢) نقلاً من كتاب البداية والنهاية ، الموضع السابق .

(٢) انظر : صحيح البخاري (٤ / ٥٤٢ / الفتح) برقم ٢٢٦٣ كتاب/ الإجارة ، باب / استئجار المشركين عند الضرورة او إذا لم يوجد أهل الإسلام ، وعامل النبي ﷺ يهود خيبر.

أما محمد بن عبد الله ﷺ فقد عفا يوم فتح مكة عن أناس منهم من له صلة قرابة به ومنهم من ليس له صلة . بل أخرجوه من خير بقاع الأرض وهو يبكي ويقول: «**والله إنك أحب البقاع إليَّ ولكن قومك أخرجوني منك**» (١) ، وكانوا يعلنون الحرب عليه ليلاً ونهاراً واستمرت عداوتهم له أكثر من عشرين سنة متتالية . وفي يوم الفتح قام ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد أن صلى في البيت ، يخاطب قريشاً وهم يحشدون للاستماع للخطاب وفي قلوبهم الخوف من القرار الأخير من النبي ﷺ فقال لهم : **يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟** قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . **فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : اذهبوا فأنتم الطلقاء** . ثلاث مرات ... (٢) .

كيف لا يعفوا وهو الرحمة المهداة إلى البشرية ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله ادع على المشركين فقال : « **إني لم أبعث لعاناً ولكن بُعثت رحمةً** » وفي رواية(**إنما أنا رحمة مهداة**)(٣)،والقرآن الكريم يؤكد ذلك بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

---

(١) انظر : سلسلة الاحاديث الصحيحة للألباني، المجلد السادس، القسم الثاني ص ٨٥٣ .

(٢) زاد المعاد (٣ / ٣٥٩ و ٣٦٢) والبداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٦٠٧) إلا تسعة نفر فإنه امر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح ،وعكرمة بن ابي جهل ، وعبد العزى بن خطل ، والحارث بن نفيل بن وهب ، ومقيس بن حبابه ، وهبار بن الاسود ، وقينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فاما ابن أبي سرح فجاء به عثمان بن عفان فاستامن له رسول الله ﷺ فقبل منه بعد ان امسك عنه رجاء ان يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله ، وكان قد أسلم قبل ذلك وهاجر ثم ارتد ورجع إلى مكة ، واما عكرمة بن أبي جهل فاستامنت له امراته بعد ان فر فامنه النبي ﷺ واسلم وحسُن إسلامه ، واما ابن خطل والحارث ومقيس وإحدى القينتين فقتلوا وكان مقيس قد أسلم ثم ارتد ولحق المشركين .واما هبار بن الاسود فهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت فنفس بها حتى سقطت على صخرة و اسقطت جنينها . ففرّ ثم اسلم وحسُن إسلامه ، واستؤمن رسول الله ﷺ لسارة ولإحدى الفتاتين فامنهما فاسلمتا .

(٣) سبق تخريجه .

المبحث الثاني

مظاهر السماحة

ويشتمل على التالي :

أولاً : حُسن الخلق.

ثانياً : الرحمة.

ثالثاً : العدل والإنصاف.

رابعاً : الصدق .

خامساً : الرفق.

سادساً : الصبر.

obeikandl.com

أولاً: حُسن الخُلق

الحسن في اللغة: ضد القبح ونقيضه ، والجمع محاسن ، والخلق هي السجية والجمع أخلاق [١] . وعند الفقهاء حسن الخلق : هو بذل الندى وكف الأذى ، واحتمال الأذى . **وقيل:** بذل الجميل وكف القبيح . **وقيل:** التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل [٢] ، **وقيل الخلق:** عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية [٣] .

حسن الخلق عبادة عظيمة وجماع الدين الإسلامي ، وخير أعمال العباد، وتضاعف به الأجور ، ويثقل به الميزان يوم القيامة ومقرب للجنة،الموصل إليها، وهو سبب لمحبة الرسول ﷺ ودليل ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما** » قال : بلى يا رسول الله ، قال : « **عليك بحُسن الخلق وطول الصمت ؛ فوالذي نفس محمد بيده ، ما عمل الخلائق بمثلهما** » [٤] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**» [٥] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **إن المؤمن ليدرك بحُسن خلقه درجة الصائم القائم** »[٦]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؛ فقال: «**تقوى الله ، وحسن الخلق**» [٧]،وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

---

(١) لسان العرب (٤ / ١٢٣) و (٥ / ١٤١) مختار الصحاح ص٩٣ و ١٢١ .

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٣٤٨) .

(٣) فإذ كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُميت خلقاً حسناً ، وإن كانت الصادر منها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة خلقًا سيئاً . ينظر : (تعريفات الجرجاني ص ٨٦ ـ ٨٧) .

(٤) الحديث حسن لغيره ، ينظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (جـ / ٤ ، ص٥٧٦ برقم ١٩٣٨) .

(٥) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٨ / ١٩٥ / عون المعبود) برقم ٤٧٩١ ، والترمذي (٦ / ١٠٩ / تحفة الأحوذي) برقم ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣) قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح .

(٦) حديث صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٨ / ١٩٥ / عون المعبود) برقم ٤٧٩٠ كتاب / الأدب، باب / في حُسن الخلق ، والسلسلة الصحيحة للألباني (ج / ٢ / ص ٤٢١ برقم ٧٩٥) .

(٧) أخرجه الترمذي (٦ / ١١٠ / تحفة الحودي) برقم ٢٠٠٤ ، كتاب / البر والصله ، باب / ما جاء في حُسن الخلق قال : وهذا حديث صحيح غريب ، والبخاري في «الأدب المفرد» برقم ٤٤٢

قال رسول الله ﷺ : «**خياركم أحسنكم أخلاقًا**» [١] . والقرآن الكريم يوضح بين أيدينا آية كريمة فيها تزكيةٌ لخلقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] .

وقد اختلفت آراء المفسرين في تأويل هذه الآية غير أن أصح الأقوال [٢] ما ذكرته عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خلق زوجها رسول الله ﷺ فقالت: « **كان خلقه القرآن** » [٣] ، فيأتمر بأمر القرآن وينتهي بنهيه ﷺ . فكان لزاماً على المسلمين أن يتأسوا ويقتدوا بنبيهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١]. فعلى المسلم التضرع ودعاء ربه ليرزقه حُسن الخُلق ، فقد كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، يقول في دعاء الاستفتاح : «**اللهمَّ اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت** » [٤] ، وحُسن الخُلق يأتي بالممارسة والرياضة والمجاهدة .

قال الغزالي [٥] **ـ رحمه الله ـ** : " لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات " [٦] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦ / ٦٩٧ / الفتح) برقم ٣٥٥٩ ، ٣٧٥٩ ، ٦٠٢٩ ، ٦٠٣٥ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي (١٨ / ١٧٥)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٢٧٩ / النووي) برقم ٧٤٦ ، كتاب: صلاة المسافر وقصرها ، باب / جامع صلاة الليل ومن نام عنه .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٣ / ٣٠٩ / النووي) برقم ٧٧١ كتاب / صلاة المسافرين وقصرها، باب / صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل ، وأبو داود (٢ / ١٤٢ / عون المعبود) برقم ٧٥٦ كتاب / الصلاة ، باب / ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، والترمذي (٩ / ٣٠٣ / تحفة الأحوذي) برقم ٣٤٢١ ، كتاب / الدعوات ، باب / ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل .

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، برع في علوم كثيرة، له مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، وكان من أذكياء العالم ، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، من تصانيفه البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والمستصفى ، والمنخول وتحصين الادلة ، وشفاء العليل ، والاسماء الحسنى والرد على الباطنية ، ومنهاج العابدين، وإحياء علوم الدين ، ينظر البداية والنهاية لابن كثير (١٢ / ٥٥٦) ، تهذيب سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٩١)

(٦) إحياء علوم الدين (٣ / ٥٥)

ثانياً : الرحمـــة

الرحمة في اللغة : الرقة والتعاطف [١] .

وفي الاصطلاح : هي إرادة إيصال الخير [٢] ، وقيل : هي رقة القلب [٣] ؛ حيث أخرج الدين الإسلامي الأمة من الظلم والجور إلى شاطئ الأمن والأمان والسلامة للإنسان ، فعاش ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مجتمع فيه جميع أنواع الظلم من قتل وغدر وخيانة وغير ذلك من أشكال الظلم ، فضرب للأمة ـ عليه الصلاة والسلام ـ أروع مشاهد الرحمة والعطف والشفقة . فقد كان رحيماً برحمة الله لعباده، لينا رفيقاً سمحاً ، فهو الرحمة المهداة للبشرية ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أدع الله على المشركين ؛ فقال : « **إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت رحمةً** » وفي رواية « **إنما أنا رحمة مهداة** » [٤]، كيف لا ؟! والقرآن يؤكد ذلك بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية : كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس، فمن آمن به وصدق به سعد، ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الأمم من الخسف والغرق [٥]. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **من لا يرحم لا يُرحم** » ، وفي رواية : « **من لا يرحم الناس ، لا يرحمه الله ـ عز وجل ـ** » [٦] ،ولفظ الناس عام لجميع الخلق، المسلم والكافر.

---

(١) لسان العرب (٦ / ١٢٤) ، مختار الصحاح ص ١٥٠ .

(٢) تعريفات الجرجاني ص ٩٣ .

(٣) معجم لغة الفقهاء ص ٢٢١

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٨ / ٣٩٤ /النووي) برقم ٢٥٩٩ كتاب / البر والصلة، باب /النهي عن لعن الدواب وغيرها ، والبخاري في « صحيح الأدب المفرد » ص ١٣٢ برقم ٢٤٤ / ٣٢١ ، باب /لعن الكافر بقلم الألباني .

(٥) تفسير القرطبي (١١ / ٢٩٠) ، وتفسير الطبري (٩ / ١٠٠) .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٨ / ٣٩٤ / النووي) برقم ٢٣١٨ ـ ٢٣١٩ كتاب/ الفضائل باب / رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه والبخاري، المرجع السابق ص١٤٨ ، وفي الصحيح (١٠ / ٥٣١ / الفتح) برقم ٦٠١٣ ، وابو داود (٨ / ٤٦١ / عون المعبود) برقم ٥٢٠٩ ، كتاب/ الأدب ، باب / في قبلة الرجل ولده ، والترمذي (٦ / ١٨ / تحفة الحوذي) برقم ١٩١١ كتاب/ البر وصلة .

قال ابن بطال [١] : في هذا الحديث الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق ؛ فيدخل المؤمن والكافر ، والبهائم ، المملوك منها وغير المملوك [٢] .

والرحمة في الدين الإسلامي لم تقتصر على البشر فحسب،بل تعدت وخرجت إلى أن وصلت إلى الحيوان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش، فوجد بئراً فنزل فيها ،فشرب ثم خرج ؛ فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني،فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتىٰ رقى فسقى الكلب ؛ فشكر الله له ، فغفر له** » قالوا : يا رسول الله ،وإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال : « **في كل كبد رطبة أجر** » [٣] ،ودخلت امرأة النار بسبب هرّة لها كما جاء في حديث أبي هريرة أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: « **دخلت امرأة النار من جراء هرةٍ لها ربطتها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي أرسلتها ترمرم من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلاً** » [٤]، فكان الحيوان يشكى إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نزل منزلاً فاخذ رجلٌ بيْضَ حُمرَّة ؛ فجاءت ترفٌ على رأس رسول الله ﷺ فقال: « **أيكم فجع هذه ببيضتها** » فقال رجل :يا رسول الله: أنا أخذت بيضتها ، فقال النبي ﷺ : « **اردده رحمة لها** » [٥]، وقال رجل: يا رسول الله ، إني لأذبح الشاة فأرحمها، أو قال: إني لأرحم الشاة إن

---

(١) هو العلامة أبو الحسن عليّ بن خلف بن بطال البكري القرطبي . يعرف بابن اللجام كان من كبار المالكية . شرح الصحيح في عدة أسفار (صحيح البخاري) رواه الناس عنه ، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة . ينظر : تهذيب سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٥١) برقم ٤١٢٨ .

(٢) ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المرجع السابق .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠ / ٥٢٨ / الفتح) برقم ٦٠٠٩ ، وفي الأدب المفرد ص ١٥٠ برقم ٣٧٨ ومسلم في صحيحه (٧ / ٥٠٢ / النووي) برقم ٢٢٤٤ ،كتاب / السلام باب /فضل البهائم المحترمة وإطعامها ، السلسلة الصحيحة للألباني، المجلد الأول ص ٦٦ ، برقم ٢٩ .

(٤) اخرجه مسلم في صحيحه (٨ / ٤٢١ / النووي) برقم ٢٦١٩ كتاب /البر والصلة والأدب، باب / تحريم تعذيب الهرّة ونحوها .

(٥) اخرجه البخاري في (الأدب المفرد) ص ١٥١ ، برقم ٣٨٢ ، وأبو داود (٥ /١٢٦/ عون المعبود) برقم٢٦٧٢ ، وسلسلة الاحاديث الصحيحة للألباني ، المجلد الأول ص٦٤ ، برقم ٢٥ ، والسياق للبخاري ، والحمّر بضم الحاء وفتح الميم المشددة : طائر صغير كالعصفور ، أحمر اللون ـ ينظر لسان العرب (٤ / ٢٢٠) .

أذبحها ، قال : « **والشاة إن رحمتها رحمك الله**»مرتين[١]،والرحمة لا تنزع إلا من شقي لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**» [٢] ، وقد تأثر الرعيل الأول بتوجيهات النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الرفق بالحيوان؛ فقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمّالاً وقال له : لا تحمل على بعيرك ما لا يطيق[٣]، وروي أن رجلاً حدّ شفرةً وأخذ شاةً ليذبحها ، فضربه عمر بالدرة، وقال: أتعذب الروح ؟، ألا فعلت هذا قبل أن تأخذها ؟ [٤]. ورأى ابن عمر رضي الله عنهما راعي غنم في مكان قبيح وقد رأى ابن عمر رضي الله عنهما مكاناً أمثل منه، فقال: ويحك يا راعي حولها، فإني سمعت النبي ﷺ يقول:«**كل راع مسئول عن رعيته**»[٥]، وكان لأبي الدرداء جمل يقال له(دمون) فكان إذا استعاروه منه، قال : لا تحملوا عليه إلا كذا وكذا ، فإنه لا يطيق أكثر من ذلك ، فلما حضرته الوفاة قال: يا دمون ، لا تخاصمني غداً عند ربي ، فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق [٦] .

وفي هذه الآثار بيان واضح أن الإسلام هو الذي وضع للناس مبدأ الرفق بالحيوان ، خلافاً لما يظنه بعض الجهلة بالإسلام أنه من وضع الكفار الأوروبيين ، بل ذلك من الآداب التي تلقوها عن المسلمين الأولين ثم توسعوا فيها ونظموها تنظيماً دقيقاً ، وتبنتها دولهم حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم ، حتى توهم الجهلة أنه من خصوصياتهم ، وغرهم في ذلك أنه لا يكاد يُرى هذا النظام مطبقاً في دولة من دول الإسلام ، وكانوا أحق بها وأهلها [٧] .

---

(١) ينظر : صحيح الأدب المفرد ص ١٤٩ برقم ٢٨٧ / ٣٧٣ ، باب / ارحم من في الأرض ، والسلسلة الصحيحة للألباني، المجلد الأول ، ص ٦٥ برقم ٢٦ .

(٢) ينظر : صحيح الأدب المفرد ص ١٤٩ برقم ٢٨٧ / ٣٧٣ ، باب/ ارحم من في الأرض ، والسلسلة الصحيحة للألباني ، المجلد الأول ، ص ٦٥ برقم ٢٦ .

(٣) سلسلة صحيح الألباني، المجلد الأول ، ص ٦٧ .

(٤) أخرجه البيهقي في السُنن الكبرى(٩ / ٤٧١) برقم ١٩١٤٢ ،والسلسلة الصحيحة للألباني المجلد الأول ص ٦٨ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٨ / ١٣٦) ،برقم ٥٨٦٩ ، تحقيق : أحمد شاكر ، مكتبة التراث الإسلامي ، قال الألباني في السلسلة الصحيحة في الموضع السابق: وسنده حسن .

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، المجلد الأول ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٦٩ .

ثالثاً : العدل والإنصاف

العدل في اللغة : هو الحكم بالحق ، يقال : هو يقضي بالحق ويعدل [١] .

والإنصاف في اللغة : إعطاء الحق ، وقد انتصف منه وأنصف الرجل صاحبه إنصافاً وقد أعطاه النصفة ، والنصفة اسم الإنصاف ، وتفسيره : أن تعطيه من نفسك النصف ، أي تعطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك . ويقال : انتصفت من فلان أخذت حقي كاملاً حتى صرت أنا وهو على النصف سواء [٢] .

العدل في الاصطلاح : الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور ديناً [٣] .

وقيل : هو أن يأخذ من صاحبه من المنافع مثل مايعطيه ، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله [٤] .

لكي تتحقق سماحة الدين الإسلامي كان لابد من وجود العدل والإنصاف ؛ فأمر الشارع الحكيم بالعدل ونهى عن الجور .

والعدل في نظر الإسلام ليس العدل الذي تفسره الفلسفة الديمقراطية أو الشيوعية؛ فالديمقراطية تفسره بأنه المساواة المطلقة ، والشيوعية تفسره بأنه جمع المواطنين في مؤسسات عامة للإنتاج ومحاربة القطاعات الخاصة ،وعندهم النشيط والكسلان سواء، هذا الجور في النظامين الديمقراطي والشيوعي ، أما العدل في نظر الإسلام : فهو المساواة بين المتساويات والتفريق بين المختلفات ، وهذا المفهوم أشمل وأكمل من المفهومين الديمقراطي والشيوعي،وللعدل في الإسلام جوانب كثيرة ومجالات عديدة، والذي يهمنا من هذه الجوانب عدل الإسلام مع غير المسلمين . فالإسلام أوجب علينا العدل والإنصاف مع الصديق والعدو ،والقريب والبعيد، قال

---

(١) لسان العرب (١٠ / ٦١) .

(٢) لسان العرب (١٤ / ٢٧٤) .

(٣) ينظر : تعريفات الجرجاني ص ١٢١ .

(٤) معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية (١ / ٣١٢) للمؤلف/ محمود عبد الرحمن عبدا لمنعم.دار الفضيلة .

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة : ٨]، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾[النساء: ١٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء : ٥٨] . دلّت هذه الآيات على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه [١] .

ودليل الإنصاف من السُّنَّة الشريفة : « إن حبراً جاء إلى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ، أتقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة . فقال رسول الله ﷺ : **قولوا : ما شاء الله ثم شئت ، وقولوا : ورب الكعبة** » [٢] .

وجاء في قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان الذي أراد أن يسرق من طعام الزكاة فأمسكه ثم أطلقه ، ثم قال له في الثالثة : لأرفعنك إلى رسول الله ، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ، قال : « **دعني وأعلمك كلمات ينفعك الله بها** » قلت : ما هي ؟، قال : « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ..... ﴾ حتى تختم الآية فإنك لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال رسول الله ﷺ : « **صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟** ، قال : لا . **قال : ذاك شيطان** » [٣] . فأخذ

---

(١) تفسير القرطبي (٦ / ٩٩)

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٠٦) باب / ما يكره من الكلام في الخطبة ، وأبو داود ، (٨ / ٣٠٥ / عون المعبود) برقم ٤٩٧٢ ،كتاب /الأدب ، وصححه الالباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة (المجلد الأول ص٢٦٣) برقم ١٣٦ و ١٣٧ والحبر : هو العالم ذمياً كان او مسلماً ، بعد ان يكون من أهل الكتاب ، ينظر : لسان العرب (٤ / ١١) ، والأحبار علماء اليهود . والرهبان مجتهدوا النصارى في العبادة (احكام القرطبي ٨/١٠٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤ / ٥٩٧ / الفتح) برقم ٢٣١١ في كتاب /الوكالة ، باب / إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز ، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز ، وبرقم ٣٢٧٥ و ٥٠١٠ .

النبي ﷺ قول الحق ولم يرده ، فهذا الحبر يرشد بنصحه إلى حقيقة ، وكذلك مع الشيطان عندما صدق القول أخذ منه الحق فهذا هو الإنصاف في الدين الإسلامي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [١] - رحمه الله - : « والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق ، وألا نقول عليه إلا بعلم ، وأمرنا بالعدل والقسط ، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله ، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق » [٢] .

---

(١) وهو العلامة الفقيه ، الحافظ ، الزاهد ، العابد ، المجاهد ، القدوة ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني ، توفي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوساً فيها سنة ٧٢٨هـ ، (البداية والنهاية لابن كثير (١٤ / ٤٥٨)

(٢) منهاج السُّنّة النبوية (٢ / ٣٤٢) .

obeikandl.com

رابعاً : الصـــدق

الصدق في اللغة : نقيض الكذب ، أي مطابقة الحكم للواقع وصدقه ، قيل قوله : « وصدقه الحديث » : أنبأه بالصدق ، وصدقت القوم أي قلت لهم صِدقاً ، والمصدّق الذي يصدقك في حديثك [١] .

وفي الاصطلاح : هو استواء السر والعلانية .وقيل :القول بالحق في مواطن الهلكة ، وقيل : كلمة الحق عند من تخافه وترجوه [٢] .

ولا يقتصر الصدق على القول فقط، بل والفعل ، والإشارة باليد ،وهز الرأس ،وقد يكون بالسكوت، ويتبين لنا من الأدلة السابقة عدم جواز الكذب على المسلمين وغيرهم [٣]، فعلى المسلم أن يجاهد نفسه ليظفر بهذه الصفة وهي المرتبة الثانية من الخلق من الذين أنعم الله عليهم ،كما قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩)** ﴾ [النساء : ٦٩] .

ولا شك أن للصدق مكانة عالية في الدين الإسلامي ومرتبة جلية ، وهو من أبرز مظاهر سماحة الإسلام ، فالناس إذا علموا صدق المسلم في معاملته سمعوا كلامه وأخذوا برأيه وقوله. وقد أمر رب العزة المؤمنين أن يكونوا من أهله، فقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)** ﴾ [التوبة:١١٩] . وأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أن الصدق ينفع صاحبه يوم لا ينفع مال ولا بنون ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ [المائدة :١١٩] .وقال تعالى :﴿ **لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن**

---

(١) لسان العرب (٨ / ٢١٤) .

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٣٠٩) ، وتعريفات الجرجاني ص ١١١ .

(٣) إلا ما رخص فيه النبي ﷺ من الكذب في الحرب ، وفي الإصلاح بين الناس ، وقول الرجل لامرأته ، او حديث المرأة لزوجها . ينظر : صحيح البخاري (٥ / ٣٦٦ / الفتح) برقم ٢٦٠٥ ، والترمذي في السنن (٦ / ٤٥ / تحفة الاحوذي) برقم ١٩٣٨ ، وأبو داود (٨ / ٢٦٥ / عون المعبود) ، برقم ٤٩١٣ ، والسلسلة الصحيحة للالباني برقم ٥٤٥ .

شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٤] .

فالصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ،كما جاء في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **إن الصّدق يهدي إلى البرّ ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً** » (١) .

وفي الحديث إشارة واضحة على أنه يجب على المسلم أن يلازم الصدق أينما كان ، ومع من كان ، مسلماً أو غيره .

وصدق المسلم في معاملاته مدعاة لقبول كلامه والأخذ به ، ألا ترى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال للمشركين : « **أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدّقونني ؟ ، قالوا بلى ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد...** » (٢) . وهرقل لما سأل بعض مشركي مكة عن رسول الله ﷺ قال لهم: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟، قال أبو سفيان : لا . قال : فهل يغدر ؟ ، قال : لا ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها... قال: ماذا يأمركم ؟ ، قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة » (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(١٠ / ٥٢٣ / الفتح) برقم٦٠٩٤ ،ومسلم في صحيحة (٨ / ٤٠٥ / النووي) برقم ٢٦٠٧ ، كتاب/ البر والصلة ، والأدب باب / قبح الكذب وحُسن الصدق وفضله ،وأبو داود (٨ / ٣١٠ / عون المعبود) برقم ٤٩٨١ كتاب الأدب ، باب /التشديد في الكذب ، والترمذي (٦ / ٧٩ / تحفة الأحوذي) برقم ١٩٧١ كتاب/ البر والصلة ، باب/ ما جاء في الصدق والكذب .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨ / ٦٦٣ / الفتح) برقم ٤٨٠١ ،كتاب التفسير باب (**إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) ومسلم في صحيحه (٢ / ٨٣ / النووي) برقم ٢٠٨ ، كتاب / الإيمان ، باب / في قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ واللفظ للبخاري .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١ / ٤٠ ـ ٤١ / الفتح) برقم ٧ كتاب / بدء الوحي، وهذا حديث طويل عن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه ، وفيه قدم أبو سفيان ومعه جماعة من قريش، وكان أبو سفيان مشركاً إلى هرقل في الشام ، وهرقل كان ملك النصارى في ذلك الوقت ،وكان ملكاً ذكياً فلما سمع بدعوة الرسول ﷺ وسمع بأبي سفيان ومن معه وهم قادمون من الحجاز دعا بهم ، وجعل يسألهم عن حال النبي ﷺ ، وعن نسبه وعن أصحابه وعن توقيرهم له وعن وفائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وكلما ذكر شيئاً أخبروه ، عرف أنه النبي الذي أخبرت به الكتب السابقة ، وهذا الحدث كان في مدة صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة .

خامساً : الرفــق

الرفق في اللغة : ضد العنف ، وهو لين الجانب ولطافة الفعل[١] . والرفيق اسم من أسماء الله الحسنى كما في الحديث (**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**) .

والرفق هو ظاهرة خلقية يضادها العنف ، وهو من ظواهر خلق الصبر، أو من ظواهر خلق الرحمة ، أو من ظواهرهما معاً[٢] .

والرفق من أهم مقومات سماحة الإسلام التي يجب أن يتحلى بها المسلم فللرفق منزلة كريمة ومرتبة عظيمة ، كما قال رسول الله ﷺ : « **إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه** » . وقال أيضاً ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن الله**[٣] **رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[٤] ، فمن أُعطي الرفق فقد أعطي الخير كله، من حسن الحال وراحة البال ، ومن حُرم الرفق حُرم الخير كله ، فهو سبيل إلى كل بلية ، وما أكثر من حرمه في زماننا هذا ، فلم يحسنوا معاملاتهم مع المسلمين ومع غيرهم من غير المسلمين ، فكانوا سبباً في تشويه الدين الإسلامي ، وتجريء أهل الباطل ، وقذف المسلمين بألقاب عدة؛ كالتطرف،والتشدد، والإرهاب.

وهذا كله من عند أنفسنا نحن المسلمين؛ لأنه يخيّل لبعض منّا أن إظهار الحق ـ وهذا في أعينهم ـ بأسلوب الشدة والغلظة هو الصحيح ، وهي عبادة للتقرب بها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا تلبيس من إبليس ، وكأنهم لم يقرؤوا ولم يسمعوا قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾ [طه : ٤٤] ، وهذا أمر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لموسى وهارون بالنفوذ إلى دعوة أكبر طاغية على

---

(١) لسان العرب (٦ / ١٩٥) .

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها (٢ / ٣٥٢) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٨ / ٣٩١ /النووي) برقم ٢٥٩٤ كتاب /البر والصلة،باب/ فضل الرفق عن عائشة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢ / ٣٣٧ / الفتح) برقم ٦٩٢٧ ، كتاب/استتابة المرتدين، باب/ إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي ﷺ ، ومسلم (٧ / ٣٩٩ / النووي) برقم ٢١٦٥ ، والترمذي في السنن (٧ / ٤٤٦ / تحفة الأحوذي) برقم ٢٧٠١ كتاب/ الاستئذان ، باب / ما جاء في التسليم على أهل الذمة .

وجه الأرض وهو فرعون وأن يقولا له قولاً ليناً ، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه ، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون ، والفاجر ليس بأخبث من فرعون ، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه [١] .

ولم يقرؤوا قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣] ، أي قولوا لهم الطيب من القول ، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به . وهذا كله حضٌ على مكارم الأخلاق؛ فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليّناً ، ووجهه منبسطاً طلقاً مع البرّ والفاجر [٢] ، المسلم وغير المسلم .

أما أدلة الرفق من السُّنَّة الشريفة: فظاهر لنا من معاملته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعن عائشة رضي الله عنها قالت :استأذن رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليكم ، فقالت عائشة : بل عليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله ﷺ : «**يا عائشة ،إن الله يحب الرفق في الأمر كله** » ،قالت : ألم تسمع ما قالوا ؟، قال : «**قد قلت وعليكم**». وفي رواية : «**يا عائشة لا تكوني فاحشة** » وفي رواية: « **صه يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش** » [٣] ، وهذا احتجاج منه ﷺ على زوجته عائشة رضي الله عنها لما سمع منها ما سمع وردها عليهم بشدة .

وعن مجاهد [٤] قال :كنت عند عبد الله بن عمر وغلامه يسلخ شاة،فقال :يا غلام، إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي،فقال رجل من القوم :اليهودي أصلحك الله ؟! قال : **سمعت النبي ﷺ يوصي بالجار ، حتى خشينا أو روينا أنه سيورثه** [٥] .

---

(١) تفسير القرطبي (٢ / ١٧) و (١١ / ١٧٠ ـ ١٧١) .

(٢) تفسير القرطبي (٢ / ١٧)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢ / ٣٣٧ / الفتح) برقم ٦٩٢٧ كتاب / استتابة المرتدين ، باب / إذا عرض الذمي أو غيره بسبّ النبي ﷺ ، ومسلم (٧ / ٣٩٩ / النووي) برقم ٢١٦٥ والترمذي في السنن (٧ / ٤٤٦ / تحفة الأحوذي) برقم ٢٧٠١ كتاب / الاستئذان ، باب / ما جاء في التسليم على أهل الذمة .

(٤) وهو الإمام شيخ القراء والمفسرين ، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فاكثر وطاب ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه ، وعن أبي هريرة وعائشة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وابن عمر وعدة ، تلا عليه جماعة ، منهم ابن كثير الداري وحدث عنه عكرمة وطاووس وعطاء وهم من اقرانه وابن عون وابو حصين وخلقٌ كثير . وقال بن معين وطائفة : مجاهد ثقة ، مات مجاهد وهو ساجد سنة اثنتين ومائة ، وقيل غير ذلك . ينظر تهذيب سير أعلام النبلاء (١ / ١٥٨) برقم ٥٥٣ .

(٥) **ينظر** : صحيح الادب المفرد ص ٧٢ ، برقم ٩٥ / ١٢٨ ، باب / جار اليهودي .

فانظر إلى رفقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حديثه مع عائشة رضي الله عنها وانظر إلى عمل الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وانظر إلى حال المسلمين اليوم فترى تعدي على المستأمنين بالضرب والشتم ، وقد يوصل إلى القتل وهذا يصدر من جهلة المسلمين بالإسلام ، وهم بذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ولم يعلموا أن رسول الأمة محمد ﷺ يقول : « **من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة** » [1].

(١) الحديث : صحيح ، أخرجه أبو داود (٥ / ٤٣٤ / عون المعبود) برقم ٣٠٥٠ في الخراج ، باب / في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات ، قال الألباني في صحيح الجامع (٢٦٥٥) صحيح .

obeikandl.com

سادساً : الصبر

الصبر في اللغة : التجلد والحبس وحسن الاحتمال ، فيقال : صبر واصطبر وصابر صبراً ومصابرة . وصبّر نفسه : حبسها وضبطها . وصبر على الأمر ، احتمله وتجلد ولم يجزع . وصبر حتى تمام الأمور : انتظر في هدوء واطمئنان . وصبر عنه ؛ حبس نفسه عنه ، وصبر عن المحبوب ؛ حبس نفسه عنه . والصبّار ؛ الشديد الصبر والتصبر ؛ تكلف الصبر ، وصبّر فلان فلاناً ؛ دعاه إلى الصبر ، والصبور اسم من أسماء الله تعالى ، فهو الذي لا يعاجل العصاة من خلقه بالنقمة والعقاب [١] .

وفي الاصطلاح : هو حبس النفس على ما يقتضيه الشرع والعقل [٢] وقيل : حبس النفس عن الجزع والتسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش . وقيل : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب [٣] .

ولا شك أن للصبر منزلة عظيمة في الإسلام ، وهو الأساس الذي تقوم عليه الدعوة لهذا الدين القويم ، وهو من سماحة الإسلام بغير المسلمين .

وللصبر جوانب كثيرة وأبواب عديدة ، والذي يهمنا في هذا المقام ، هو صبر المسلم في معاملته ودعوته لغير المسلمين . ونظراً لأهميته ، فقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإمامة في الدين مورّثه عنه ، قال الله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤] ، وقرن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الصبر بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥] .

فما أجملَ الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الإساءة ، فلا

---

(١) لسان العرب (٨ / ١٩٢ ـ ١٩٣) .

(٢) الراغب الأصفهاني / مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٧٧ .

(٣) مدارج السالكين (٢ / ١٧٨ ، ١٨٠) ومعجم لغة الفقهاء ص ٢٧٠ لمحمد رواس وحامد قنيبي .

تستوي حسنة العقول وسيئة الانتصار ، ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك [١] ، فربما من كان يؤذيك اليوم بالقول أو الفعل في علم الله خيراً منك غداً إن أسلم ، ولكل أجلٍ كتابٌ . فعلى المسلم ألا يُسْمع غيره كلمة يحفظها عنه حتى إذا رضي بهذا الدين فعاد إلى رشده ورجع إلى صوابه وقف الشيطان في طريقه وأعاد له الذاكرة حتى يوقفه على تلك الكلمة فتكون أذية المسلم سبباً في الفتنة له ، فلا تستوي الحسنة والسيئة، فإذا كان الدافع والردّ،يوحي لسامعه بالرحمة والشفقة صار ذاك الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم لقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت : ٣٤-٣٥] .

فعلى المسلم أن يتحلى بالصبر في معاملته مع غير المسلمين . فقد كان الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يؤذَون بالقول والفعل ، وربما بلغ الأمر إلى قتلهم ، فصبروا على ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [٢] [آل عمران : ١١٢] ، وقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام : ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

وصف ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية الأذى المسموع من أهل الكتاب والمشركين بالكثرة ، فهناك حرب كلامية وإعلامية لتشويش وتشويه الإسلام .

وعلى أهل الإسلام ألا يواجهوا الدسَّ والافتراء من غير المسلمين بمثله،لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ

---

(١) تفسير القرطبي (١٥ / ٢٨٩ وما بعدها) تفسير سورة فصلت الآية ٣٤ .

(٢) وقال الله تعالى في آية أخرى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران : ٢١] .

﴿ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨].

والعفو من شيم المحسنين قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ومعنى ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ أي عن ظلمهم وإساءتهم وهذا عام (١).

والسُّنَّة الشريفة مليئة بالمشاهد والصور، فقد عاش ـ عليه الصلاة والسلام ـ طيلة حياته مهدداً ومستهدفاً بالعمل الجماعي والفردي الدائم من أعدائه للقضاء على حياته والفتك به بصور متعدده، ونكتفي بذكر صورتين منها.

الصورة الأولى: وهي أول محاولة لاغتياله ﷺ بعد الهجرة. حين جلس عمير بن وهب وهو من بني جمح، قرشي وهو معروف بعدائه للمسلمين ولم يسلم من أذاه من المهاجرين إلا القليل جداً. ففي ليلة جلس في الحجر (٢) في مكة حول الكعبة إلى صديق له. وهذا الصديق لا يقل عنه حقداً ومكراً وخبثاً ذلك اليوم، وهو صفوان ابن أمية، فتذاكرا مصاب قريش في رجالها في بدر. وفي هذه الجلسة عبّر عمير عن حلمه وأمنيته بقوله: لولا دَيْن عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلَهم علة، ابني أسير في أيديهم. فانتهز صفوان الفرصة لأنه لا يقل عنه حقداً وغيظًا فشجع عميراً وأغراه بقوله: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، قال عمير: فاكتم عليّ شاني وشانك. قال: أفعل، قال: ثم إن عميراً أمر بسيفه فشحذ له وسمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم إذ نظر عمر رضي الله عنه إلى عمير بن وهب فقال: ما جاء إلا لشرّ؛ وهو الذي حرّش بيننا وحذرنا للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ؛ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه، قال: **فادخله علي**، قال: فاقبل عمر رضي الله عنه

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١٨٣).
(٢) حجر إسماعيل.

حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فليّه بها [١] . وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه ، قال أرسله يا عمر ، ادْنُ يا عمير،فدنا، ثم قال : انعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله ﷺ :« **قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام ، تحية أهل الجنة**» قال: أما و الله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها ، قال: ما جاء بك يا عمير ؟ ، قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه ، قال : **فما بال السيف في عنقك** ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً ؟، **قال: اصدقني بالذي جئت به**، قال: ما جئت إلا لذلك ، فقال : **بل ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين عليّ وعيالي ، لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمّل لك صفوان بدينِكَ وعيالك على أن تقتلني له ، والله ـ عز وجل ـ حائلٌ بيني وبينك**، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله . فعاد عمير إلى مكة ليدعو الناس إلى الإسلام فأسلم على يديه أناس كثيرون [٢] ، وفي هذه الصورة لم يستعجل النبي ﷺوصحابته الكرام في معاقبة عمير بن وهب واحتجازه واستجوابه عن الدافع لهذه العملية الإرهابية الإجرامية بل تحاور معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بلطف حتى أوصله إلى الحقيقة فكانت نتيجة ذلك أن يعلن إسلامه ، فلم يسلم عمير تحت ضغوطات أو تهديدات أو إغراء بدنانير الذهب أو دراهم الفضة ، بل أسلم طواعية بنفس راضية وأصبح داعية للإسلام بعد ذلك .

الصورة الثانية : وهي عملية اغتيال من كيد امرأة يهودية ملأ الحقد صدرها؛ فأخذت تسأل عن طعام رسول الله ﷺ لتعلم أي عضو في الشاة أحب إليه، فقيل: الذراع ، فأهدت هذه المرأة للنبي ﷺ شاة مشوية قد سمتها ـ والقصة طويلة ـ فبعد

(١) ليّه من لاه : تستر . انظر : المعجم الوسيط (٢ / ٢٥٠) .

(٢) تاريخ الطبري : تاريخ الأمم والملوك (١ / ٣٨٠ ـ ٣٨١) دار صادر ، والبداية والنهاية (٣ / ٣١٠ ـ ٣١١) .

أن استجوب النبي ﷺ المرأة عفا عنها عن حقه رغم ما يجد ويحس من آثار السم في جسده . إلا أنه لم يطلق سراحها بل دفعها إلى أهل بشر بن البراء الذي توفى من تناول السم . ليكون لهم الخيار في أمر صاحبهم [١] فقد أسقط النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ حقه كرماً وجوداً وإحساناً منه على هذه المرأة الحقودة مع قدرته على البطش بها والانتقام منها .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧ / ٦١٥ / الفتح) برقم ٤٢٤٩ ،كتاب / المغازي ، باب / الشاة التي سمّت للنبي ﷺ بخيبر ، وفي كتاب / الطب ، باب / ما يذكر في سمّ النبي ﷺ برقم ٥٧٧٧ ، ومسلم في صحيحه (٧ / ٤٣٤ / النووي) برقم ٢١٩٠ ، كتاب / السلام باب / السمّ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثالث

ضوابط السماحة الإسلامية في معاملة غير المسلمين

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : الولاء والبراء

المطلب الثاني: الفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى.

obeikandl.com

تمهيد

جاءت الرسالة المحمدية بالوسطية في كل شيء،وأنعم المولى ـ سبحانه وتعالى ـ على هذه الأمة الإسلامية أن جعلها أمة وسطاً خياراً عدولاً [١] ، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. [البقرة : ١٤٣] .

فالإسلام ليس كاليهودية التي غرق أصحابها في الماديات الدنيوية ، وقدّسوا المحسوسات ، واتخذوها طريقاً للرقي، وبالغوا حتى في معرفة الله،فقالوا لموسى عليه السلام: ﴿ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ ﴾[٢] [النساء: ١٥٣] ،وأصبحت القيم المادية عندهم محور الحياة ، ولذلك وصفهم الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ [البقرة : ٩٦] ، أي حياة حتى لو كانت حياة البهائم ونحوها . وهم يخافون من الموت [٣] لأنهم ربطوا غايتهم بالدنيا . فعلمهم للدنيا وعبادتهم لمآرب دنيوية، فإذا انتهت الدنيا فقد فاتهم كل شيء ، وهذا السبيل يمثل أسوأ صور التفريط ، ولذلك فقد أمرنا رب العزة أن نستعيذ منهم في كل صلاة بقوله: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة :٧] والمغضوب عليهم اليهود [٤] . والإسلام كذلك ليس كالنصرانية التي غرق أصحابها في مفهوم العبادات والرهبنة [٥] ، وهو منهج قائم على الغلو في الرهبانية القاسية على النفس ، بتحريم الزواج وتكبيت الغرائز ومنع كل أنواع الزينة والطيبات من الرزق ، وهذا من عمل الشيطان ، لخروجهم عن

---

(١) تفسير القرطبي (٢ / ١٣٥) وتفسير فتح القدير للشوكاني ص ١٤٥ ، دار بن حزم .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ الآية ١٥٣ من سورة النساء .

(٣) قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ ولا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الجمعة : ٦ ـ ٧] ، والمراد بالذين هادوا : تدينوا باليهودية.

(٤) تفسير القرطبي(١ / ١٥٧).

(٥) الأحبار من اليهود و الرهبان من النصارى ، أو الأحبار: العلماء ، و الرهبان : العباد .

كيفية العبادة،وعن المراد منها .فاصبحت رهبانية مشوهة بلا حجة ولا برهان ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ [الحديد :٢٧] ، وهذا المنهج يمثل أسوأ صور الإفراط والغلو في العبادات، وهو الوجه الثاني من أوجه الانحراف عن الصراط المستقيم ﴿ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ والضالون النصارى [١].

وصحح ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخطاء رجال الدين السابقين من اليهود والنصارى ورفع عن الناس الغلو في الدين والأغلال التي أدخلوها على الدين ، وفي هذا قال الله ـ تعالى ـ عن نبيه محمد ﷺ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، وقد حذّر النبي ﷺ المسلمين من الغلو في الدين كما فعل اليهود والنصارى ، فقال ﷺ : « **إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين** » [٢] .و قوله: (**إياكم و الغلو في الدين**) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال [٣]، وقال ﷺ : (**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شدّدوا على أنفسهم شدّد الله عليهم .....**) [٤] ،وقال ﷺ : « **هلك المتنطعون**» وكرر ذلك ثلاثاً [٥] ، وهذا الغلو في الدين ليس نوعاً واحداً ، بل عدة أنواع ، فهناك تنطع في الاعتقاد كما فعل الخوارج ،حيث كفّروا المسلمين ،قال النبي ﷺ عنهم قبل أن يظهروا: «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من**

---

(١) تفسير القرطبي(١ / ١٥٧) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٢٥٧) وصححه أحمد شاكر (١٨٥١) مكتبة التراث الإسلامي.

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٠٤ لابن تيمية ، طبعة دار الفكر ، ومعنى الغلو: هو مجاوزة الحد بان يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق .

(٤) أخرجه ابو داود (٨ / ٢٥٥ / عون المعبود) برقم ٤٨٩٥ ، كتاب /الادب ، باب /الحسد، إسناده ضعيف لجهالة حال سعيد بن عبد الرحمن بن ابى العمياء ، انظر تحقيق عصام الصبابطي

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٨ / ٤٧٣ / النووي) برقم ٢٦٧٠ ، كتاب / العلم ، باب / هلك المتنطعون.

الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم .. » [١] ، قيل ذلك لرجل اعترض على تقسيم النبي ﷺ للغنائم . كما يوجد غلو بترك الأمور الضرورية ،كالزواج ، والنوم ؛ كفعل ثلاثة رهط الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ **قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني** أصلي الليل أبداً ، وقال آخر:أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر:أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: « **أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني** » [٢] ، والمراد بالسُّنَّة الطريقة ؛ أي من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني [٣] .

ومن أنواع الغلو التكلف في التعمق في معاني القرآن الكريم والتشديد في تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بما يعارض مقاصد الشريعة الإسلامية .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩ / ١٢١ / الفتح) برقم ٥٠٥٧ ، كتاب / فضائل القرآن .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٩ / ١٢٦ / الفتح) كتاب /النكاح ، باب/الترغيب في النكاح، برقم ٥٠٦٣ .
(٣) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩ / ١٢٧) .

obeikandl.com

المطلب الأول

الولاء والبراء

تمهيد:

سبق أن ذكرنا مصادر السماحة ومقوماتها في الإسلام ، ولكن قد يلتبس الأمر في معنى السماحة ومعرفة مكانها وموقعها في الشريعة الإسلامية.

فالمسلمون يختلفون في العلم بأحكام الإسلام باختلاف ثقافاتهم و ظروف حياتهم ، فصعب على بعضهم معرفة معنى السماحة، حتى ذهبوا إلى توسيع ما كان في الإسلام معتدلاً ، فهدموا عُرى الإسلام ، وأذهبوا عن الإسلام هيبته المعهودة عند غير أهله.

وينقسم هذا المطلب إلى فرعين :

الفرع الأول : معنى الولاء والبراء

الفرع الثاني: أهميته في الشريعة الإسلامية

الفرع الأول : الولاء والبراء

الولاء في اللغة :

المِلْك ، والقرب ، والقرابة ، والنصرة ، والمحبة .

والمولى : الرب، والمالك ، والسيد ، والمنعم والمعتق، والناصر، والمحب ، والتابع ، والجار ، وابن العم ، والحليف ،والعقيد ، والصهر ، والعبد، والمعتق [١] .

والولاية : بفتح الواو :القرابة والنصرة،والعتق، والموالاة بضم الميم من والي القوم. قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [محمد : ١١] ، والموالاة ضد المعاداة ، والوليّ ضد العدوّ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم :٤٥] .

والتولي : يكون بمعنى الإعراض ، ويكون بمعنى الاتباع ، قال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد : ٢٢] أي : إن تعرضوا عن الإسلام،وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١].

الولاء في المعنى الاصطلاحي :

الولاية هي النصرة ، والمحبة ، والإكرام، والاحترام ، ويكون مع المحبوبين ، ظاهراً وباطناً . قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

والولاء شرعاً : هو التناصر والتعاضد [٢] .

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى :﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١]، أي يتناصرون ويتعاضدون [٣] .

فموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الودّ لهم بالأقوال والأفعال والنوايا[٤].

---

(١) المعجم الوسيط (٢ / ١٠٥٨) ، المنجد ٩١٩ .

(٢) **انظر :** حقيقة الولاء والبراء ص ٢٧ تاليف سيد سعيد عبد الغني ط /الاولى ١٩٩٨م ، دار ابن حزم .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ١٦٧٦) دار ابن حزم ، تحقيق د / محمد إبراهيم البنا ، ط / الاولى ١٩٩٨م

(٤) معجم لغة الفقهاء ص ٤٦٨ ، والإيمان لنعيم ياسين ص ١٦٠ ، دار التوزيع والنشر الإسلامي ، والولاء والبراء في الإسلام ص ٧١ للمؤلف محمد سعيد سالم القحطاني .

البراء في اللغة :

جاء في المعجم الوسيط [١] برئ المريض ـ بُرءاً : شُفي وتخلص مما به، ومن فلان بَراءة : تباعد وتخلّى عنه ، وتبرأ : من كذا ، تخلص وتخلى عنه ، وفي التنزيل : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ [البقرة : ١٦٦] .

البراء في المعنى الاصطلاحي :

هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار [٢]. والوَلاية ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ،وأصل العداوة : البغض والبعد. والولي لغة : القرب ، يقال: هذا يلي هذا ، أي يقرب منه ، ومنه قول المصطفى ﷺ : « **الحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي ؛ فهو لأولى رجل ذكر** » [٣]، أي لأقرب رجل إلى الميّت [٤].

والبراءُ شرعاً لايختلف كثيراً عن معناه اللغوي ، فإن معناه يدور حول المصارمة ، والعداوة ، والمجانبة ، والتبري ، والبغض [٥] .

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [الممتحنة:٤] . قال : يقول الله تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبرؤ منهم [٦] .

الفرع الثاني : أهمية الولاء والبراء في الشريعة الإسلامية :

لما كان أصل الموالاة : الحب ، وأصل المعاداة البغض وما ينشأ عنهما من إعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة المعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة ونحو ذلك ، فإن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله [٧] ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ

---

(١) (١ / ٤٦) المكتبة الإسلامية.

(٢) انظر : الولاء والبراء في الإسلام ص ٧١ للمؤلف محمد بن سعيد بن القحطاني

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢ / ١٤ / الفتح) برقم ٦٧٣٢ ، كتاب / الفرائض ، ومسلم في صحيحه (٦ / ٥٩ / النووي) برقم ١٦١٥ / كتاب الفرائض .

(٤) الفرقان لابن تيمية ص ١٧ .

(٥) الولاء والبراء ص ٢٧ تأليف سيد سعيد عبد الغني .

(٦) تفسير ابن كثير (٨ / ٣٤٩٥ و ٣٤٩٦) تفسير سورة الممتحنة .

(٧) الولاء والبراء في الإسلام ، ص ٣٢ ، تأليف محمد بن سعيد بن القحطان ، نقل عن الرسائل المفيدة للشيخ / عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، ص٢٩٦

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، ﴿ لا يتَّخذ ﴾ : كلمة فيها نهي المؤمنين عن موالاة الكفار لسبب من الأسباب : ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ وهو استثناء ومعناه إلا أن تخافوا منهم أمراً يجب اتقاؤه [١]. وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾ [المائدة : ٥١] .

ومن السُّنَّة حديث أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان » [٢]،وقال ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعادة في الله ، والحب في الله والبغض في الله » [٣] .

والصراع بين الحق والباطل أمر قديم نشأ منذ خلق الله آدم عليه السلام وأمر الله الملائكة بالسجود له فسجدت إلا إبليس أبى واستكبر ، وهي عداوة قائمة بين إبليس وبني آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وعلى ذلك فإنه لا التقاء بين الفريقين ـ أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ في الدنيا ولا في الآخرة ،قال الله تعالى مبيِّناً العداء بين آدم وإبليس : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [البقرة : ٣٤-٣٨] .

وقال تعالى في بيان عدم سجود إبليس لآدم عندما أمره الله :﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾ [الأعراف : ١٢] ،

---

(١) تفسير فتح القدير (ص ٢٧٩)

(٢) انظر : شرح السُّنَّة للإمام البغوي (١ / ٣٩) .

(٣) انظر : الجامع الصغير للسيوطي (١ / ٦٩) قال الألباني :حديث حسن صحيح ، الجامع الصغير (٢ / ٣٤٣) برقم ٢٨٣٦ .

وذكر المولى سبحانه وتعالى وحذَّر من الشيطان؛فقال:﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾ [الاعراف : ٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾[المجادلة:٢٢] ، وفي هذه الآية الكريمة دعوة إلى المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ [التوبة : ٢٣-٢٤] ، وهذا أمر من الله بمباينة الكفار و إن كانوا آباء أو أبناء ، ونهى عن موالاتهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان (١) .

ونجد أن القرآن الكريم يؤكد التقريع لأهل الكتاب والتنديد بباطلهم ومخازيهم، قال تعالى:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) ﴾ [آل عمران : ٧٠ -٧١] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مَّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) ﴾ [المائدة : ٥٩ - ٦٠] .

وأما البراءة من المشركين فقد جاءت في سورة التوبة،قال تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٦٦) .

وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ (٦) ﴾ [التوبة ١-٦] .

صور من الولاء والبراء في الأمم السابقة :

هناك صور مشرقة ونماذج إيمانية في الولاء والبراء لأهل الإيمان أينما كانوا وفي أي عصر ومصر عاشوا ، أوردها لنا ـ تبارك وتعالى ـ في القرآن الكريم حتى تكون للمؤمنين أُسوة حسنة ، ولنبيهم ورسولهم تسلية . فهناك صور كثيرة في القرآن ونكتفي بذكر صورتين :

الصورة الأولى : نوح عليه السلام :

دعا نوح عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً (١) ليلاً ونهاراً (٢) فلم يؤمن معه إلا القليل (٣) .

والصورة التي نريد أن نتحدث عنها هي : موقفه عليه السلام مع ابنه الذي عصاه ولم يستجب لدعوة أبيه .

---

(١) قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) ﴾ [نوح : ٥] .

(٣) قال الله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾ .
[هود : ٣٦] .

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) ﴾ [هود: ٤٢- ٤٧] ، إن الوشيجة التي تجمع عليها الناس في هذا الدين الإسلامي ؛ ليست وشيجة الدم والنسب ،وليست وشيجة الأرض والوطن وليست وشيجة القوم والعشيرة ، إنها وشيجة العقيدة [١] . وبيَّن - تبارك وتعالى - لنوح عليه السلام لماذا لا يكون ابنه من أهله : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ أي إنه عمل عملاً غير صالح وهو كفره وتركه المتابعة لأبيه [٢] ، فوشيجة الإيمان قد انقطعت : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ولو كان هو ابنك من صلبك [٣] .

الصورة الثانية : إبراهيم الخليل عليه السلام :

لقد كان إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة في ولائه لربّه ودينه ولعباد الله الموحدين المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] ، فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم ، وهو الكفر بهم والإيمان بالله، وهذه العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده ، وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئاً من الوشائج والإصرار بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان [٤] ، قال الله

(١) الولاء والبراء في الإسلام ، محمد سعيد القحطاني ص ١٢٣
(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني (ص ٨٠٦ دار ابن حزم)
(٣) في ظلال القرآن (٤ / ١٨٨٧) سيد قطب
(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨ / ٦٢).

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾ [الزخرف : ٢٦-٢٨]

فإبراهيم عليه السلام أُسوة حسنة وقدوة طيبة في ولائه لربه ودينه وعباد الله المؤمنين ، ومعاداته لأعداء الله ومنهم أبيه . أما قول إبراهيم عليه السلام لأبيه : ﴿ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنة : ٤] ، كان قبل أن يستيقن عليه السلام من إصرار أبيه على الشرك ، فقالها وهو يرجو إيمانه ويتوقعه [١] : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤) ﴾ [التوبة : ١١٤] .

وتأتي التوجيهات الإلهية لخاتم المرسلين محمد ﷺ باتباع ملة أبيه إبراهيم عليه السلام ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾ [آل عمران : ٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة : ١٣٠] ، وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (١٢٥) ﴾ [النساء : ١٢٥] .

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٨ / ٦٣) .

المطلب الثاني

الفرق بين الموالاة وحُسن المعاملة

سبق وأن ذكرنا أن الموالاة تتمثل وتكمن في الحب والنصرة وهذا شيء ، أما الإحسان والصلة بالأقارب غير المسلمين فشيء آخر . والأصل في جواز المعاملة بالحسنى مع غير المسلمين قوله تعالى :﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[الممتحنة : ٨] .

اختلف أهل التأويل في تفسير هذه الآية الكريمة، فقال مجاهد أن المعنى فيها : الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا [١] ، وقال قتادة [٢] : نسختها : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

وقال أكثر أهل التأويل [٣] : هي محكمة وعامة لجميع أصناف الملل والأديان الذين لم يقاتلوكم في الدين أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم،لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عمَّ بقوله :﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصص به بعضاً دون بعض، وقالوا لا معنى لمن قال ذلك منسوخ. لأن بر المؤمن أحداً من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب،أو ممن لا قرابة بينهما ولا نسب غير محرم،ولا منهي عنه،إذا لم يكن في ذلك دلالة لأهل الحرب على عورات أهل الإسلام أو تقوية لهم بمتاع أو سلاح والبر والصلة والإحسان مع غير المسلمين لا تستلزم التودد المنهي عنه في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة:٢٢] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٦٨ مطابع الدوحة الحديثة .

(٢) انظر : نواسخ القران الكريم لابن الجوزي ٤٨٥ / باب /ذكر ما ادعي عليهن النسخ من سورة الممتحنة .

(٣) انظر : تفسير الطبري (٢٨ / ٤٣) ط/ ١ المطبعة الكبرى الأميرية سنة ١٣٢٩هـ ، وتفسير القرطبي دار الكاتب العربي ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (٥ / ٢٣٣) .

واستدلوا من السُّنَّة بما روي عن أسماء رضي الله عنها [١] قالت : قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ ، قلت : إن أمي قَدِمَتْ عليَّ وهي راغبة ، أفأَصِلُ أمي ؟ ، قال : « **نعم ، صلي أمك** » [٢] .

وما ذهب إليه الجمهور في تفسير الآية هو الراجح ، لأن سماحة الإسلام تظهر لنا جلية عند تفسير الآية وعند الحديث عن حكم البيع والشراء مع غير المسلمين ، وحق ثبوت الشفعة والوقف والوصية لهم وعليهم .

---

(١) أسماء بنت أبي بكر الصديق ووالدة عبد الله بن الزبير بن العوام وأخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وآخر المهاجرات وفاة ، روت عدة أحاديث وعمّرت دهراً ، وتعرف بذات النطاقين وأمها قتيلة بنت عبد العزى العامرية ، حدّث عنها ابناها عبد الله وعروة وحفيدها عبدالله بن عروة وابن عباس وغيرهم . وهاجرت حاملاً بعبد الله وشهدت اليرموك مع زوجها الزبير هي وأبوها وجدها وابنها ابن الزبير أربعتهم صحابيون ، وكانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات ، مسندها ثمانية وخمسون حديثاً ، ماتت بعد ابنها عبدالله بليال ولها مائة سنة ، وكان قتله لسبع عشر خلت من جمادي الأول سنة ثلاثة وسبعين . انظر : تهذيب سير اعلام النبلاء (١ / ٦٣) برقم ١٥٤ .

(٢) اخرجه البخاري في صحيحه (٥ / ٢٨٥ / الفتح) برقم ٢٦٢٠ .

obeikandl.com